جمعية الثقافة من أجل التنمية　　بالاشتراك مع　　جامعة سوهاج

عناية القرآن والسنة بالمستقبل الإنساني

إعداد

أد / محمد محمد عثمان يوسف

أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة سوهاج

obeikandl.com

obeikandl.com

عناية القرآن والسنة بالمستقبل الإنساني

أد / محمد محمد عثمان يوسف

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فقد أصبح تحرك الناس إلى المستقبل في عصرنا سريعاً حثيث الخطى، حتى لا يكاد الإنسان يصدق ما يحدث من تغير هائل في الماديات والمعنويات، بسرعة مذهلة، نتيجة للثورات العلمية التي فرضت نفسها على العالم: الثورة الإلكترونية، والثورة البيولوجية، والثورة النووية، والثورة الفضائية، وثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، ومنطق الإسلام في قرآنه وسنته يفرض علينا أن نوجه اهتمامنا إلى المستقبل ولا نعيش أسرى الماضي.

فالمتدبر للقرآن الكريم يجده منذ العهد المكي يوجه أنظار المسلمين إلى الغد المأمول والمستقبل المرتجى، ويبين لهم أن الفلك يتحرك، والعالم يتغير، والأحوال تتحول، فالمهزوم قد ينتصر، والمنتصر قد ينهزم، والضعيف قد يقوى، والقوي قد يضعف، والدوائر تدور، سواء كان ذلك على المستوى المحلي أم العالمي، وفقا لسنة (التداول) التي أشار إليها القرآن بقوله تعالى:"وتلك الأيام نداولها بين الناس "(١)، وعلى المسلمين أن يهيئوا أنفسهم، ويرتبوا بيتهم، لما يتمخض عنه الغد القريب أو البعيد، فكل آت قريب.

وعلى المستوى العالمي نجد آيات الكتاب العزيز تتحدث عن ذلك الصراع التاريخي بين الدولتين العظميين: فارس والروم وقد كان صراعا اهتم له الفريقان في مكة: المسلمون والمشركون فتبشر الآيات الجماعة المؤمنة بأن المستقبل للروم من أهل الكتاب، على الفرس المجوس عباد النار،

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٤٠.

وأنهم وإن غلبوا اليوم سيغلبون في بضع سنين، وفي هذا تقول السورة جازمةً : "الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم"(١).

وهذه الآيات الكريمة من كتاب اللّه تعالى تدلنا على أمرين:

١ - مدى وعي المجموعة المسلمة على قلتها وضعفها المادي بأحداث العالم الكبرى وصراع العمالقة من حولها، وأثره عليها إيجابا وسلبا، فلا ينبغي أن يذهلهم الواقع المحلي عما يجري في عالمهم الكبير، فإنهم جزء لا يتجزأ منه.

٢ - تسجيل القرآن لهذه الأحداث، وتوجيه النظر إلى عوامل المتغير، والانتقال من الواقع إلى المتوقع في ضوء السنن.

والعبرة من هذا: ألا يعيش المسلمون في هموم يومهم، ومشكلات حاضرهم، غافلين عن إمكانات المستقبل، وآفاقه المرتقبة، وإرهاصاته، ومبشراته أو نذره، فيفاجأوا بما لم يكن في حسبانهم، ولم يخطر في بالهم.

والقارئ المتأمل لسيرة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يتبين له انه لم يكن غافلا عن مستقبل دعوته، بل كان يفكر فيه، ويخطط له، وفي حدود ما هيأ اللّه له من فرص، وما آتاه من أدوات وأسباب.

ويكفي أن نقرأ عن جهده ونشاطه صلى اللّه عليه وسلم، في مواسم الحج التي تجمع ممثلين من جميع قبائل العرب، وكيف كان عليه الصلاة والسلام يعرض دعوته عليهم ويطلب نصرتهم، ويعدهم بوراثة ملك كسرى وقيصر لنعلم إلى أي أفق كان يرنو بصره صلى اللّه عليه وسلم.

---

(١) سورة الروم : ١-٥ .

وكان الرسول الكريم مؤمنا بمبدأين أساسيين:

الأول: أن هذا الواقع لابد أن يزول، لأنه يحمل عوامل زواله، وان البديل له هو الإسلام، وان ليل الجاهلية الحالك والجاثم سيعقبه فجر صادق، وما على المؤمنين إلا أن يصمدوا ويصبروا ولا يستعجلوا الثمرة قبل أوانها.

الثاني: أن هذا المستقبل المنشود إنما يتحقق وفق سنن الله في رعاية الأسباب وتهيئة الخطط، وإعداد المستطاع من العدة، وإزاحة العوائق من الطريق، وترك ما عدا ذلك للإرادة الإلهية.

نجد ذلك واضحا كل الوضوح في الهجرة إلى المدينة، فقد خطط لها بإحكام، قدر ما يتيسر للبشر؛ فقد اختار الرسول الكريم مهجره داخل جزيرة العرب لا خارجها كالحبشة مثلا فاختار يثرب، إذ الإسلام لابد أن ينطلق من ارض العرب، فهذا هو الموقع المناسب واختار أنصاره من العرب الخلص، الذين بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وذرياتهم، فكانوا الأوس والخزرج، إذ لابد أن يكون أنصار الإسلام الأولون عربا، وقدم هجرة أصحابه على هجرته، ليكون ذلك أمكن لهم، وأليق بمقدمه بعدهم، وهيأ للهجرة، بعد إذن الله له، الرواحل التي يمتطيها في رحلته الشاقة، والرفيق الذي يأنس إليه ويطمئن بصحبته ورأيه، فكان أبا بكر، والدليل الذي يعرف الطريق، ويؤتمن على السر، فكان عبدالله بن أريقط، وهو مشرك مأمون، والغار الذي يتوارى فيه حتى يهدأ الطلب، ويفتر الحماس، وهو غار ثور في جنوب مكة، أي في غير طريق المدينة تعمية على المشركين. وأحاط ذلك كله بما يمكن للبشر من أخذ الحذر والكتمان، وأسباب التوقي والاحتياط وترك للإرادة الإلهية بعد ذلك ما لا حيلة له فيه، ولذا لم يخامره صلى الله عليه وسلم أدنى شك في أن الله ناصره.

ومما فعله صلى الله عليه وسلم، بعد الهجرة انه قال: "أحصوا لي عدد من يلفظ بالإسلام"(١)، فأحصوا له، فكانوا ألفا وخمسمائة رجل، وفي رواية:"اكتبوا لي". فهو إحصاء كتابي يراد تدوينه وتثبيته، وهي خطوة تقدمية في ذلك العصر المبكر. فهو يريد بهذا الإحصاء أن يعرف مقدار (القوة الضاربة) عنده، ليرتب عليها أمورا فيما بعد، وقد تبين لنا من معارف عصرنا: أن (الإحصاء) مقدمة ضرورية لأي تخطيط علمي سليم، لمواجهة المستقبل واحتمالاته.

تلك كانت بعض ملامح استشراف المستقبل والتخطيط له في منهج الإسلام متمثلا في الوحيين الكتاب والسنة ،فإذا نظرنا إلي واقعنا المعاصر وما يكتنفه من تحديات ، ماذا عسانا أن نري اليوم والإنسانية تعيش في مفترق طرق؟

إننا نلحظ حيرة وارتباكاً أمام تحديات وتدفق الحضارة الغربيةالمتميزة بأدواتها ووسائلها التكنولوجية التي تزداد فاعلية وانتشاراً، ولذا فإن المثقف المسلم يشعر بالحاجة إلي مراجعة إرثه الثقافي وإعادة توظيفه لخدمة قضاياه في هذه المرحلة حتي يتسني له تحقيق السبق العلمي في المستقبل علي أقرانه في المجتمع الإنساني.

إن تغيير هذا الواقع يتطلب استرتيجية مستقبلية للإصلاح محكمة المضمون واقعية التحليل،عميقة التصور والاستنباط،تصاحبها دراسة استشرافية دقيقة وبعيدة المدي، وأهم من ذلك تهيئة المناخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتربوي ؛إذ أن هذا المناخ يمثل الوعاء الذي سيفرغ فيه مضمون تلك الاسترتيجية، ولقد أكد مالك بن نبي علي تلك الحقيقة حينما وصف الثقافة بأنها:" ليست علماً خاصاً لطبقة من الشعب دون أخري ،بل هي دستور تتطلبه الحياة العامةبجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي

(١) أخرجه الشيخان .

وعلي الأخص إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبر المجتمع إلي الرقي والتمدن، فإنها أيضاً الحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط من فوق الجسر إلي الهاوية." (١) ولما كان القرآن والسنة هما الدستور الثقافي والحضاري لهذه الأمة ،فلا بد من التبصر بهديهما في محاولتنا لاستشراف مستقبلنا ، فإن هديهما في كل شئ هو أتم هدي وأكمله ومن ذلك هديهما العظيم في بناء المستقبل، ذلك أن من أعظم مقاصدهما العناية بمستقبل الإنسان.

ومن هذا المنطلق أقدم بين يدي القارئ هذا البحث الذي يهدف إلي محاولة الوقوف علي منهج القرآن والسنة في العناية بالمستقبل الإنساني ، وذلك بالتعرض لملامح استشراف المشتقبل والتخطيط المستقبلي في القرآن والسنة من خلال هذه المحاور :

(أولاً) استشراف المستقبل القريب وتحقيق استخلاف الإنسان الصالح في هذه الأرض .

(ثانياً) الأمر بالسير في الأرض للنظر في عاقبة الأولين والآخرين لأخذ الدروس والعبر للتأسيس الصحيح للمستقبل .

(ثالثاً) التخطيط النبوي لبناء المستقبل من خلال سيرة النبي صلي الله علية وسلم .

(رابعاً) توجيه العناية العظمي للعناية بالمستقبل الحقيقي وهو الدار الآخرة .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

أد / محمد محمد عثمان يوسف

(١) شروط النهضة، مالك بن نبي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت، ص ١٣٠.

obeikandl.com